قِراءةٌ في كِتاب:

"العِلمُ فِي إطَارِ الدِّين"
-آراءٌ ومُلاحظاتٌ عن دَيْنَنَة العُلوم-

مراجعة: نبيل علي صالح[1]

ملخّص

كتاب «العلم في إطار الدين» هو عبارة عن مجموعة من الدراسات والبحوث التي كتبها عدد من المُفكِّرين البارزين عن موضوع «دَيْنَنَة العلوم» أو ما يُعرف بـ «العلم الدينيّ». يتناول الكتاب بشكل عميق طبيعة العلاقة القائمة بين العلم والدين، ويسعى إلى تحليل إمكانيَّة وجود علم منبثق من الرؤية الدينيَّة، خاصّة في المجتمعات الإسلاميَّة. يحاولُ مؤلِّفو هذا الكتاب تقديمَ تأطيرٍ معرفي جديد عن طبيعة العَلاقة المُلتبسة بين العلم والدين، وإعادة ضبط مساراتها وسبلها؛ إذْ لطَالما كانتْ تلكَ العَلاقة مَشُوبة بكثيرٍ منَ القراءات والاجتهادات والرّؤى المُغاليَّة والمُتطرّفة في وعيها، وتحليلها لقضيَّة العِلم والدّين والعلاقة بينهما، الأمر الذي أنتج لنا -في واقع الفكر والوعي البشريّ- شُبهات وأضاليل ومؤاخذات كثيرة عن الدين ذاته (وليسَ فقط عن طبيعة العلم)، تحوّلتْ مع الزّمن لدى بعض الناس إلى ما يشبه الاعتقادات والقناعات الراسخة، بعيدًا عن معاني الدين والعقلانيَّة والاعتدال والوسطيَّة التي عُرف بها الدين الإسلاميّ.

يقدّمُ الكتابُ عمومًا رؤية نقديَّة عميقة لطبيعة تلك العلاقة التي تحكم العلم والدين في سياق رؤية الفكر الإسلاميّ المعاصر، كما يناقش ظاهرة «دَيْنَنة العلوم»، أو محاولة أسلمة المعرفة العلميَّة الحديثة، بالاستناد إلى منظور متعدّد التخصّصات والاهتمامات المعرفيَّة، ويشارك في المعالجة مجموعة من الباحثين المتخصّصين ممّن يحاولون طرح تحليلاتهم للعلاقة المعقّدة بين المنهج العلميّ والفهم الدينيّ.

الكلمات المفتاحية: الدّين، العلم، العلم الديني، دَيْنَنة العلوم.

---

١ - كاتب وباحث سوريّ

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: «العلمُ في إطَارِ الدِّين.. آراءٌ وملاحظاتٌ حولَ دَيْنَنة العلوم».
اسم الكاتب: جمعٌ من أبرز المُفكرين.
إعداد: حميد رضا الحسني، مهدي علي بور، محمد تقي موحد الأبطحي.
ترجمة: عبد الكريم الجنابي.
الناشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر، قم/إيران، الطبعة الأولى، عام ١٤٣١هـ.
عدد صفحات الكتاب: ٢٥٠ صفحة مع فهرس المصادر والموضوعات.

يُقسمُ الكتابُ إلى عدّة أقسامٍ رئيسة، ويتناولُ كلّ قسم زاويَّة مختلفة من زوايا موضوع العلم في إطار المَعرفة الدينيَّة.. وهذه الأقسام تأتي بوصفها محاورَ بحثيَّة كتبها مجموعة مفكِّرين مختصّين في علوم المعرفة العلميَّة والدينيَّة، قاموا بمعالجة قضيَّة العلم والدين، وفقًا للمحاور الآتية:

المَحورُ الأوّل: الرؤية الكَونيَّة الإسلاميَّة والعلمُ الحديثُ

د. حسين نصر

يؤكّدُ الكاتبُ في هذا المحور على أنَّه من الضروريّ دراسة العلم الحديث قبلَ أيَّ شيء آخر، ومطالعة رأي الإسلام فيه بشكل كامل، ولا يقصد الكاتب بهذا الرأي «مَن يدَّعي الإسلاميَّة على أسـاس تلفيق المعاني الظاهريَّة لبعض الآيات القرآنيَّة مع جميع أنواع المفاهيم والمصطلحات المصدرة من الغرب الحديث، وإنَّما الرأي الناشئ من السُنَّة الفكريَّة للإسلام الذي يشمل جميع أقسـامها، والذي لا يجري اسـتنتاجه من خلال الفرق الكلاميَّة والفقهيَّة، وإنما من خلال السُنَّة

وأبعادها الأعمّ»[١].

وفي عنـوان فرعي آخر هو (نقدُ العلم الحَديث)، يرى الكاتبُ أنَّ العلمَ الغربي الحديث يقوم على رؤية فلسـفيَّة وقِيَميَّة حسِّيَّة تتعارض مع الرؤية الإسلاميَّة القائمة على التكامل بين الروحيّ والماديّ. فالغربُ يفصلُ -في فلسفته العلميَّة- بين العلم والأخلاق، ويعتمد على النزعة الماديَّة البحتة دونما أيّ اعتبار للمبادئ الروحيَّة، ما يجعله غير منسجم مع المبادئ الدينيَّة..

وفي نقد شديد للعلم الغربي يرى المؤلف (حسين نصر) أنَّ العلمَ الحديثَ وقعَ في فخِّ الماديَّة (Materialism)؛ حيثُ أصبحَ يفسِّرُ الكـونَ دونَ الحاجةِ إلى الخالق.. كما أنَّ فصل العلم عن الدين في الثقافة الغربيَّة أدَّى إلى تفجّر كثيرٍ من المشكلات والأزمات الوجوديَّة والخُلُقيَّة، خاصَّة على صعيد النظام القِيَميّ المعياريّ؛ حيث يحلّل لنا الكاتب الكيفيَّة التي تشكّلت فيها أساسات المنظومـة القِيَميَّة للعلـم الحديث، التي تختلف جوهريًّا وفي العمق عن الرؤية الإسـلاميَّة عن العلم والحياة[٢]..

ويحذّرُ الكاتبُ (حسين نصر) في عنوانٍ آخر من بحثه (توريد العلم الغربي)، من اعتناق الرؤية المعرفيَّـة الغربيَّة عن موضوعة العلم من دون تدقيقٍ في مبانيها وخلفيَّاتها، أيّ من دون الارتكاز على رؤية نقديَّة لها، مؤكِّدًا على أنّ هذا التبنّي (الأعمى) سيفضي لا محالة إلى الانسياق والتبعيَّة الثقافيَّة والعلميَّة للغرب، والخضوع لفلسـفته ورؤيتـه الكونيَّة في كلّ ما يتعلق بالوجود والحياة والإنسان، وهي رؤية مناقضة للرؤية الكونيَّة الدينيَّة بطبيعة الحال.

ويشـير الكاتب هنا إلى ضرورة تطوير علم إسـلامي أصيل، لا يتناقض مـع الرؤية الدينيَّة بل يعكس روحيَّة القيم والمبادئ الدينيَّة.. ومن تلك الخطوات يقترح[٣]:

١. إعادةُ اكتشـاف الرؤية الكونيَّة الإسـلاميَّة وتدوينها بلغة العالم المعاصر، مع ضرورة الالتفات إلى النظرة العباديَّة للعلم والتقنيَّة الحديثة.
٢. دراسةُ المصادر الإسلاميَّة التقليديَّة (القرآن، الحديث، التراث العلمي الإسلامي).
٣. تعلّم وتعليمُ العلوم الحديثة مع الحفاظ على الهُويَّة الإسلاميَّة.

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٥.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٩-٣١.
٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٣٢ وما بعدها.

٤. إحياء العلوم الإسلاميَّة التقليديَّة مثل الطبّ الإسلامي، واستعادة المنهجيَّة العلميَّة الإسلاميَّة التاريخيَّة.
٥. التوفيقُ بينَ العلمِ والأخلاق؛ بحيث يكونُ العلمُ مُنسجمًا مع القيم الدينيَّة ومتأطِّرًا بها، ومتحرّكًا في سياق معاييرها ومجمل ضوابطها الروحيَّة الخُلُقيَّة.
٦. ضرورة تطوير خُلُقيَّات علميَّة مستمدة من المبادئ الروحيَّة الدينيَّة.

وعن التقنيَّة يبين الكاتب «أنَّها قضيَّة مهمة ترتبط بمواضيع فلسفيَّة، ونفسيَّة، واجتماعيَّة واقتصاديَّة.. ومن الضروري تقويمها في نتاجاتها الحديثة، ودراسة مدى تناسبها مع أقلّ الأضرار التي قد تخلّفها في البيئة الإسلاميَّة...»[١].

المحورُ الثّاني: نظريَّة العلم الدّيني حسب تقييم معادلات العلم والدين علي شاهرودي عابدي

يستعرضُ كاتب هذا المحور المعادلات الفكريَّة والعمليَّة القائمة بين العلم والدين، ويقوم بتحليلها وتقويمها لأجل تفسير العلم الدينيّ، معتبراً أنَّ «قانون تلازم العقل والشرع -المطروح في علم الكلام القديم والجديد، وكذا في نظريَّة الاجتهاد- هو الركيزة الأساس لهذه المعادلات؛ محاولاً الإجابة عن أسئلة عدَّة تتعلق بالمعنى المقصود من الدين في علاقة العلم والدين، والمعنى المقصود من العلم، والكيفيَّة التي يمتدّ من خلالها الاجتهاد إلى جهاز المعرفة البشريَّة ليقوم باستنباط المعارف والتفاسير الدينيَّة من داخله..»[٢].

وينظرُ الكاتبُ إلى ماهيَّة الدّين نظرةً معمَّقة فهو «يُعتبر بحسب مقتضيات العقل النظري والعقل العمليّ، مجموعة أصول الإيمان وقوانين العمل في منطقة الاختيار. ومن هنا، فإنَّ نظام الأصول والقوانين هذا يقرّره الله، ويبلّغه الموجودات المختارة عن طريق نوابه المعايير والمعصومين في النظام الأمثل.. وبعد إبلاغه وعرْضه على الناس، ينتقل إلى إدراكاتهم بطريقين، عمومي واكتسابي...»[٣].

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٤٢.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٤٨.
٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٥٦-٦٢.

وأما مَفهوم العِلم الدّيني، فيعرّفه الكاتب على أساس أنّه العلم الذي يستند إلى المصادر الدينيَّة (القرآن والسنة)، ويستفيد من العقل والاجتهاد، وينقسم إلى:

١. العلـم الديني الخاص: وهو العلم الذي يتكفَّل الديـن بتعليمه وتطبيقه مباشرة، مثل الفقه والعقيدة.

٢. العلم الدينيّ العام: وهو العلم الذي يمكن استنباطه من النصوص الدينيَّة، مثل بعض جوانب الفلسفة والعلوم الاجتماعيَّة.

وأما الاجتهادُ باعتباره أداةً ومقوِّمًا للعلم الديني، يؤكّدُ الكاتبُ أنَّ الاجتهادَ هو الطريقُ الأساس لاستنباط العلم الدينيّ؛ حيث يجري تحليل النصوص الدينيَّة ومصادرها، وإعادة قراءتها ومراجعتها وفق منهجيَّة واضحة، مع ضرورة البحث في الأسانيد وغيرها من الآليَّات البحث المعروفة وصولاً لمرحلة الاستنباط[١]. وعن الإمكانيَّة في العلم الديني، يقدّمُ الكاتب براهينَ على هذه الإمكانيَّة في وجود علم دينيّ، يرتكزُ على الدّين الذي يختزن في داخله رؤية عميقة شاملة للوجود والحياة، يمكن أنْ تشـمل جميع مجالات العلم والمعرفة العقليَّة والعلميَّـة... وفي مراجعةٍ نقديَّة لرأي (الدكتور مهدي كلشـني) بخصوص تحليلاته عن موضوعة العلم الدينيّ، التـي يُعتقد فيها بإمكانيَّة العلم الدينـي ومطلوبيَّته في مقتضيات العلم المادي؛ حيث ينتقد الكاتب إصرار (كلشـني) على قناعته في أنّ تاريخ العلم برهنَ على وجود تدخُّل للعقائد الدينيَّة والفلسـفيَّة اقتراحًا، وتقويمًا، وتفسـيراً لنظريَّات علميَّة.. ورأي (كلشـني) هذا، يـأتي من دون أنْ يوضّحَ الكيفيَّـة والآليَّة لهذا التدخّل.. "والنُكتة المُهمَّة هنا أنَّ مجرّد إثبات الاستفادة من العقائد الدينيَّة والفلسفيَّة في الفعاليَّات العلميَّة، لا يمكن أنْ يكون دليلاً على كون الاستفادة منها جائزة. وعلى هذا الأساس، فإنّ البحث الأكثر أهمّيَّة هو هل أنّ تدخّل العقائد الدينيَّة والفلسفيَّة في الفعاليَّات العلميَّة يجري بشكل جائز؟....."[٢].

المِحورُ الثّالث: النموذج التّأسيسي للعلم الديني

خسرو باقري

يقـدّمُ «د. خسرو باقري» رؤيته لإشـكاليَّة العلـم الديني في كتابه «هُويَّـة العلم الديني، نظرة

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٧٠ وما بعدها.

٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٠٢ وما بعدها.

معرفيَّـة إلى علاقة الدين بالعلوم الإنسـانيَّة»، الذي يعتبر فيه أنَّ البحـث في مجال العلم الدينيّ يثير تحدّيات من جهة أنّ نشـوء العلوم التجريبيَّة وظهورها المعاصرة كان جوًّا غير دينيّ وأحيانًا مضـادًّا للدين؛ حيث «إنَّ الديـنَ يتضمن حقائق الوجود كلّها، وإجابـات عن جميع الحاجات البشريَّة، وتبيين القوانـين الثابتة التي تبحث عنها العلوم المختلفة.. وطبقًا لهذه النظريَّة فجميع الحقائـق والأمور العلميَّة التي تعمّ الجزئيّات والكليّات، إمّـا أنْ تكون قد بُيّنت بصورة صريحة في النصـوص الدينيَّة، وإمّا اقتصر البيان فيها على الأصول والكليّات، وينبغي اسـتخدام العقل لاستخراج الجزئيَّات من رحم هذه الكليّات...»[١]. وبالتالي، إنَّ تفسير النصوص وتأويلها يجري من خلال العقل، وهذا ما يُسمّى بالهرمنوطيقا (علم كيفيَّة تفسير النصوص).

ويوضّـحُ الكاتبُ رأيه في عددٍ من القضايا المتعلّقة بالعلم الدّينيّ في هُويّته ومعناه، مُعتبراً أنَّ الاتجاهَ التأسيسي هو النموذجُ للعلم الديني الذي يجبُ أنْ ينشأ -في هذا الاتجاه كأيّ جهد علميّ آخر- «في ضوء القدرة الإلهاميَّة لخلفيّاته الخاصّة من جهة، وفي صراع الجهد التجريبيّ من جهة أخرى.. مع وجود قابليَّة للنقض طبعًا في النموذج التأسيسيّ للعلم الديني»[٢].

المِحور الرّابع: الميول وتقييم دينيَّة العلوم
سعيد زيبا كلام

يتحدّثُ الكاتب عن دور الميول الخاصّة في عمليَّة تقويم مسألة دينيَّة العلوم البشريَّة، ويعتبر أنَّ أغلـبَ المُواقـف والتنظـيرات (المقدَّمة باعتبارهـا وجهات نظر عـن دور الدين في صناعة العلوم..) مصبوغة بصبغةٍ واحدة ناجمة عن الهيمنة الفلسفيَّة..

ويستهدفُ الكاتبُ في بحثه هذا، دراسة ميادين مختلفة من العلوم وتحليلها وإعادة تقويمها، ليتّضـحَ "مدى حاجتها للقِيَم وبعض ميـول النّاس، ومدى وجود إمكانيَّة لـدى التعاليم الدينيَّة للعـب دور تقويمي في أهمّ نقاط العلوم الطبيعيَّة وتركيبتها الاجتماعيَّة-الإنسـانيَّة حساسـيَّةً... على هذا الأسـاس، يناقشُ الكاتبُ دورَ العقائـد الثقافيَّة في تحديد العوامل المؤثِّرة في الظواهر الطبيعيَّة معتبراً أنَّ حضور العقائد الثقافيَّة في مجال جميع العلوم التجريبيَّة في مرحلتها التقويميَّة

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٠٦ وما بعدها.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلم في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١١٧.

والجنينيَّة، هو حضور جادّ وحاسم.. "[١].

وأمّا عن دور الميول والطّموحات في اختبار النّظريات، فيعتبرُ الكاتبُ أنّه «يمُكنُ لأيّ مجموعة وحيدة من ميول وطموحات إنسان أو مجموعة من الناس، أنْ تؤدّي إلى اتخاذ قرار وانتخاب خاص، وأنَّ الملاحظات النفعيَّة -التي اتضح تبعيّتها لميولنا وطموحاتنا- يمكنها نظرًا لكثرة وعدم إمكان إحصاء ميولنا وطموحاتنا، أنْ تكون كثيرة وغير محدودة.. وأنَّ الذي يقوّم الملاحظات النفعيَّة ويقدّرها، هو ميولنا وطموحاتنا، وبما أنّه لا يمكن إحصاء هذه الميول والطموحات، فلا يمكن تحديد تلكَ الملاحظات وتعيينها...»[٢].

وفي حديثه عن القيم الدينيَّة ورؤاها باعتبارها أركانًا للعلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، فيبيّن لنا الكاتب «أنّ جميع التنظيرات الجزئيَّة والرئيسة في العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، ترتكز على ركنين رئيسين في تحليلها النهائي: أحدهما ماهيَّة الإنسان، والآخر ماهيَّة سعادة الإنسان وكماله...»[٣].

ويؤكّد الكاتب في نهاية بحثه على أنَّ «الميولَ والطموحات البنيويَّة الفرديَّة والاجتماعيَّة هي التي قوّمت العلوم المختلفة وأسّستها. والمعوّقات التي يطرحُها أكثر الجامعيين وبعض الحوزويّين -باعتبارها موانع لحضور الدين في ميدان وحقل العلوم- لها جذورٌ في أيديولوجيَّة العلوم، وهي وليدة أوروبا القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وينبغي أنْ لا تقفَ هذه الأيديولوجيَّة مانعًا بوجه جهود علماء فكر الوحي -في مواجهة علماء فكر الحداثة العلمانيّ- في هذه الدائرة الضروريَّة»[٤].

المحور الخامس: العلم الديني أداة تطبيق الإسلام في العمل الاجتماعي
السيد مهدي ميرباقري

جاءَ هذا القسمُ من الكتاب على شَكل حوار أجراه مُعدّ الكتاب مع (السيد مهدي ميرباقري)، وتضمّن مجموعة أسئلة عن أهميَّة العلم الدينيّ باعتباره وسيلةً من وسائل تركيز عمليَّة تطبيق

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٢٤-١٢٨.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٣٢.
٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٣٧ وما بعدها.
٤ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٤٤.

مقاصد الإسلام في الأعمال الاجتماعيَّة، إثباتًا للدور الفعّال للدّين في مختلف ميدان الحياة الاجتماعيَّة العمليَّة؛ حيث يؤكّد (السيد مهدي) أنّ تحقيق هذه الغاية في حضور الدين ودوره الفعّال في ميدان الحياة الاجتماعيَّة «يتطلّب وجود علم دينيّ، وتطبيق الإسلام يحتاج إلى مفاهيم تطبيقيَّة؛ لأنَّ مثلَ هذه المفاهيم التطبيقيَّة تعد طريقًا لتحقّق الدين في الواقع الاجتماعي، وهذا يفرض أنْ يكون لها نوع من الارتباط المنطقي مع الدين. فهذه الضرورة أرغمتنا على السعي لإنتاج علم دينيّ؛ كي نستطيع أنْ نصل إلى التطبيق الحقيقيّ للدين في المجتمع، وإيصال الحضارة الإسلاميَّة إلى منصّة الظهور على أساسه..»[١]. وفي عودة للتاريخ الإسلاميّ أو عصر الحضارة الإسلاميَّة، يشير الكاتب إلى أنّه لم يكن لدينا علم دينيّ وإسلاميّ؛ «لأنّه لم يثبت ارتباط منطقيّ بين فيما بين الدين والعلم في تلك المرحلة. ولكن هذا لا يمثّل ارتباطًا منطقيًّا بين العلم والدين. لذا، لا نرى العِلم الذي أنتجوه أو اتسع من خلالهم علمًا دينيًّا، إلى درجة أنيّ أعتقد بعدم وجود فلسفة إسلاميَّة بمفهومها الدقيق؛ لأن هذه الفلسفة ليست إسلاميَّة من ناحية المفاهيم، والمبادئ والمنهج....»[٢].

ومن أجل إيجاد الشروط اللازمة لتأسيس العلم الديني لا بد من العمل على أمرين اثنين: «أحدهما تأسيس شبكة فلسفيَّة ودينيَّة بإمكانها توجيه إنتاج وتنميَّة العلم، والآخر إيجاد الجرأة الروحيَّة والنفسيَّة المرتكزة على الإيمان الديني...»[٣].

ومن أجل طرح نظريَّة مبنيَّة على الإيمان، وقبولها من قِبَل المجتمع، «يجب تنمية البواعث الدينيَّة الإيمانيَّة في مستوى تطالب فيه بتحقيق الاعتقادات الدينيَّة في عرصة الحياة الاجتماعيَّة..»[٤]

وبحسب رأي (السيد مير باقري)، تعتبر القضايا العلميَّة، ومن جملتها قضايا العلم الديني قضايا إنشائيَّة... وأنّ المؤمنين وحدهم بإمكانهم توليد الحوافز الدينيَّة، ومن جملتها المعرفة والعلم الدينين[٥]!

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٤٩-١٥٠.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٥٥.
٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٦٤.
٤ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٦٨.
٥ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٨١-185.

المحور السّادس: مقدّمات أسلمة العلوم الإنسانيَّة

مصطفى ملكيان

يعدّ موضوع «أسلمة العلوم الإنسانيَّة» من أهمّ المشاريع المعرفيَّة التي ظهرت لدى نخب دينيَّة إسلاميَّة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، ويعمل أصحاب المشروع على إعادة بناء العلوم الإنسانيَّة المعروفة، بالاستناد إلى القِيَم الدينيَّة الإسلاميَّة وقواعدها ورؤاها، مع أهميَّة التركيز على دمج القِيَم والمفاهيم الإسلاميَّة في فهم الظواهر الإنسانيَّة، وتفسيرها وفقًا للغايات الإسلاميَّة.

ويعتقد المؤيّدون لهذا المشروع أنّ العلوم الإنسانيَّة الغربيَّة قد تكون محدودة أو غير كافية لفهم المجتمعات الإسلاميَّة وتلبية احتياجاتها، وأنَّ هناك حاجة إلى بناء إطار معرفيّ جديد يستند إلى الإسلام، ويستوعب التراث الإسلاميّ والعلوم الحديثة.. و(مصطفى ملكيان) أحد هؤلاء المُفكّرين الذي بحثوا نقديًّا في مجال الأسلمة؛ حيث لاحظنا أنّه في هذا البحث (مقدّمات أسلمة العلوم الإنسانيَّة)، قام بإعادة قراءة مقدمات من يدّعون إعادة تأهيل العلوم الإنسانيَّة، وذلك بناءً على التعاليم الإسلاميَّة، معتبراً أنّه «من اللازم معرفة العلوم الإنسانيَّة المختلفة، أمثال العلوم الإنسانيَّة الفلسفيَّة، والعرفانيَّة، والتأريخيَّة والتجريبيَّة. وللوصول إلى ذلك، ينبغي أنْ يجري البحث في ثلاثة محاور، والتعرّف عليها: المحور الأول: التطوّر التأريخيّ للعلوم الإنسانيَّة، المحور الثاني: الوضع الراهن للعلوم الإنسانيَّة، والمحور الثالث: ميثولوجيا العلوم الإنسانيَّة.. طبعًا توجد في العلوم الإنسانيَّة الحاضرة نواقص لا يمكن ترميمها، وهي بحاجة إلى بدائل. وتعود هذه النواقص بمجملها إلى عدم الانسجام فيما بين ما يقال في العلوم الإنسانيَّة وبين التعاليم الدينيَّة»[1].

وعدم الانسجام هذا سيؤثّر بطبيعة الحال على موضوعة أسلمة العلوم، خاصّة على صعيد إعاقة التطوّر العلمي، وفرض قيود على حريَّة البحث العلميّ.. مضافًا إلى أنّ محاولة أسلمة العلوم الإنسانيَّة قد تعتمد على منهجيَّة غير علميَّة؛ حيث يجري استبعاد القِيَم الغربيَّة دون تقديم بديل واضح ومنهجي، ما يؤدّي إلى تسييس العلوم، وتقليل موضوعيَّة المنهج..

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص١٨٦-٢١٤.

المحور السّابع: الإسلام والعلوم الاجتماعيَّة
نقدَ حول دِيننة العلم
عبد الكريم سروش

يَعتبرُ (د. عبد الكريم سروش) أنّه يمكننا استبدال تعبير أسلمة العلوم بديننة العلوم، أو حتى أدلجة أو مذهبة العلم بدل دِيننة العلم.. ويسأل: «هل أنّ العلم الدين، أو العلم المذهبيّ والأيديولوجيّ ممكن وفعليّ أم لا؟ وعلى فرض كونه ممكنًا، كيف يمكن جعله واقعيًّا واستيلاد مثل هذا المولود وتحقيقه على أرض الواقع؟!..»[١]... ويبينّ (سروش) أنّ «مفهوم الأسلمة أو تطهير العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة من العناصر والعقائد غير الإسلاميَّة أو ضدّ الإسلاميَّة، جرى في مجتمعنا بعد الثورة؛ حيث جرى إنجاز كتابات وأعمال -جزئيَّة أو كليَّة- في هذا المجال، وما زالت الجهود تُبذل لمتابعة هذه الفكرة..»[٢].

ونلاحظُ أنَّ (عبد الكريم سروش) كان واضحًا في رأيه، أنَّ مشروع أسلمة العلوم الإنسانيَّة، كما طرح في بعض الأوساط، غير دقيق، بل يحتاج إلى إعادة نظر.. حيث إنَّ المعرفة الإنسانيَّة تتطوّر وتتراكم باستمرار، وإنَّ الدين يجب أنْ يتفاعل مع هذا التطوّر والتقدّم، بدلاً من أنْ يُفرض عليه شكلٌ أو إطار ثابت محدد. وهنا من الضروريّ أنْ يجري التمييز بين الثوابت والمتغيّرات في الدّين، وأنَّ الاجتهاد يجب أنْ يشمل الأصول وليس الفروع فقط.. ويشير (سروش) بتركيز دقيق إلى أنَّ: العلم في ذاته، وفي مقام الثبوت له استقلال ذاتي عن المذاهب، سواء عرفناه بموضوعه أم بغايته أم بمنهجه، ولا يخرج عن هذه الموارد الثلاثة، وأنَّ تعريفه ووصفه بأوصاف «المذهبيَّة» و«عدم المذهبيَّة» و«الإسلاميَّة» و«عدم الإسلاميَّة» ليس صحيحًا من الأساس، ولا يمكن أن يكون له أي وجه معقول...[٣].

ويرى (سروش) أنَّ موضوعة الأسلمة، لا يجب أنْ تعني فرض قالب دينيّ خاصّ ومحدّد وثابت على العلوم الإنسانيَّة، بل هي تعني البحث عن سبيل وطريقة لفهم الدين ووعيه في سياق المعرفة الحديثة وإطارها، مع الحفاظ على الثوابت الدينيَّة.. خاصّة أنّ "العلوم ليست سوى

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢١٧.
٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٢٥ وما بعدها.
٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٢٦.

حصيلة للنماذج العصريَّـة الغالبة، فلا ينبغي أنْ تتقوقع داخل نطاق نظريَّة أيديولوجيَّة، فنموذج (بطليموس) مثلاً له جذور كنسـيَّة وعلميَّة، ونموذج (نيوتـن) الذي جعل من الآليَّة الميكانيكيَّة معيارًا.. وبعبارة أخرى: إنَّ العلوم الغربيَّة لا تستمد من الأيديولوجيّات الغربيَّة..»[١]..

طبعًـا ما يطرحه (سروش) من تمايز العلوم، ليسَ مختصًّا على الدوام بتمايز العلوم المختلفة عن بعضها بعضًا، «بل يمكن التفكيك بينَ كل سنخ وصنف أو مصداق في داخل الفروع العلميَّة، وبين سـنخ وصنف ومصداق آخر لذلك الفـرع العلميّ... ولهذا توجد إمكانيَّة اشـتراك العلم الدينيّ والإسـلاميّ مع أقسـام من العلم غير الدينيّ. وعلى هذا الأساس، فإنّ طرح دينية العلوم وأسلمتها ليس هو بمعنى إنكار مكاسب البحوث التجريبيَّة التي جرى إنجازها، بل بمعنى إعادة النظر وتمييز الصحيح منها عن السقيم، واسـتخدام آراء ومعطيات صحيحة، وإضافة معطيات جديدة عليها وصلت إلينا عن طريق الوحي..»[٢].

أمّا ما يتعلق بمسـألة نفي العلم الدينيّ في مقام الإثبـات، فيصرّح (د. سروش) أنّ «المناطقة تحدّثوا عن العلوم في بحث تمايزها بشـكل لم يأتوا بجديد؛ أي لم يأت شـخص أو فئة لرسـم موضوع وهدف ومنهج لعلم ما، ويؤسِّسـوا علمًا بذلك، فالعلوم تتبلور بشكل لا إرادي، ويبقى موضوع المسـائل ومنهجها في حالة من الإبهام في بداية ظهورها، والعلماء أنفسـهم لم يعلموا حينها بأنَّ سـعْيهُم نحو أهدافهم الخاصّة سيؤدي عفويًا وبالتدريج إلى تأسيس علم من العلوم. ولم يحدثْ أبدًا -في حدود ما يشـيرُ إليه التأريخ- أنْ يأتي شخص أو جماعة لتقولَ نريدُ تأسيسَ علمٍ جديدٍ من خلال هذا التعريف وهذا المنهج وهذا الغرض...»[٣].

والمناصرون لتأسـيس رؤية دينيَّة عن العلوم، أو علـم ديني، يؤكّدون على نقطتين: «الأولى، السـعي إلى الحصول على إجابات شاملة من خلال عدم حصر منهج العلم بالمنهج التجريبي. والثانيـة، أنَّ الإجابـات الناقصة تطوي طريق الكـمال من خلال الأخذ بنظـر الاعتبار مجموع الإجابات وتقويمها..»[٤].

---

١ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٣٧.

٢ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص ٢٣٨-٢٤١

٣ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٤٤.

٤ - راجع: مجموعة مؤلفين: العلمُ في إطار الدّين، آراءٌ وملاحظاتٌ حول دَيْنَنة العلوم، ص٢٤٦.

خاتمة

بعد نهايَة مراجعتنا لهذا الكتاب النوعي والعميق في رؤيته المعرفيَّة الخاصة بموضوعة العلم والدين، لاحظنا أنَّ النقاشات التي وردت فيها تمثّل محاولة جادة ورصينة لمواجهة التحدّيات الفكريَّة والثقافيَّة التي تواجه العالم الإسلاميّ، فيما يتعلّق بضرورة الانفتاح العلميّ وتعميق الصّلة بين الموضوع الدينيّ والعلميّ، وإيجاد مساحة مشتركة بين الحقلين، عبر التفاعل مع التراث الديني، والتأكيد الاجتهاد.

وعلى الرّغم ممّا لاحظناه من وجود اختلافات عن تفاصيل الرؤى في معالجات إشكاليَّة العلم والدين، (فمن قائل بتكامل العلم والدين، إلى قائل بضرورة إخضاع العلم للدين، إلى قائل بالفصل بينهما، وعدم وجود شيء اسمه علم ديني، وغير ذلك) لكن تلك الرؤى والمعالجات عن تلك الإشكاليَّة، تفتح بمجملها آفاقًا جديدة للبحث في كيفيَّة تطوير معايير وضوابط لعلمٍ منبثق من الرؤية الإسلاميَّة، بما يعكس انفتاح الهُويَّة الإسلاميَّة، ويستجيب لتحديات العصر.

وبرأيي تكمنُ نقاط قوة الكتاب السابق في الآتي:

١. تحليلُه النقدي العميق لفكرة دَيْنَنة العلوم.
٢. تمييزُه الواضح بين الدين في نصوصه الثابتة، ومناهج فهم الدين (ووعي العلماء النسبي لها) في حركة الواقع.
٣. مُقاربتُه متعدّدة التّخصصات لإشكاليَّة العلم والدين والعلم الدينيّ في سياق رؤية تجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع وتاريخ العلوم.
٤. نقدُه العميق لمحاولات التفريق بين العلم والدين، وعدم إمكانيَّة نشوء علم ديني أو رؤية علميَّة انطلاقًا من الفهم الاجتهادي العقلي في الدّين.